آلام الصليب ومجده

كلمات الصليب العظيمة – ١

٢ كورنثوس ٥: ١٧-١٢

«... إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ» (٢ كورنثوس ٥: ١٩).

تأليف: هيغو مكورد

«مصالحة»

كان الخلاص وما زال بالتبدل. هدف التبدل هو المصالحة. لنطهر عقولنا من كل تحيز ومعتقدات مسبقة عن المصالحة، لكي نبدأ من البداية عندما نمر بهذه العملية. لنتأكد اننا نفهم هذا بسبب أهميته.

الغفران شيء مقبول بصفة عامة في يومنا هذا. يتم تعليم الأولاد أن يقولوا «آسف» دون تفكير ولا عمق ولا توبة ولا ندامة. الاعتزار مقبول، ولكن الاعتراف بالمسؤولية غير مقبول. تعلمنا الأسفار المقدسة بتوبة عميقة.

تخيل وجود صديقين حميمين، ثم تصور أن علاقتهما بداءت بالتدهور. وحتى يمكن لهما أن يتصالحا، فلا بد أن تعود علاقتهما إلى ما كانت عليه من قبل. بالمصالحة نجد ما كان قد فُقِدَ، ويتم إحياء الموتى والخطيئة تُغْفَر. كيف يحدث هذا؟ أولاً: لا بد أن يكون الذي تم الإساءة إليه راغب في هذا أكثر من أي شيء آخر. ثانياً: لا بد أن يكون المسيء راغب في التجديد أكثر من أي شيء آخر. يريد المجتمع في يومنا هذا أن يتحرر من المسؤولية. لا بد أن يكون الذي تم الإساءة إليه والمسيء مستعدان لأن يدفعا أي ثمن لتجديد العلاقة. ينبغي أن ندرك هذه الحقيقة!

المغفرة لا تعني إنهاء المشاجرة والابتعاد عن الآخر. ليست المصالحة «حرب باردة». يريد الكثيرون من الخطاة المغفرة من غير مصالحة. يتمنون التحرر من المسؤولية ولكنهم لا يتمنون التجديد. الغفران معناه يمكن مصالحتنا وانسجامنا مع بعضنا مرة أخرى.

يكون المسيء تحت رحمة المساء إليه بمفهوم ما. يخبرنا نص درسنا هذا بان الله صالحنا معه في المسيح لنفسه. لقد صالح الله العالم لنفسه. لم يصالح الله نفسه للعالم. من الذي قام بالمبادرة؟ الله هو الذي قام بالمبادرة أولاً. مات المسيح لأجلي قبل أن أتوب! وفر لي الله الغفران (بالإنجيل) قبل ولادتي. يريد الله أن يرجع الخطاة إليه! ولكن ينبغي أن يرغب الخطاة في الرجوع إليه. الإنسان ضال إلى الأبد إن لم يفعل الله شيء. نحن أعداءه، ولكن يمكن مصالحتنا! من الذي قام بالمبادرة؟ استجابت المحبة أولاً!

- الغفران مستحيل من غير رحمة المخطيء إليه.
- الغفران مستحيل من غير توبة المخطيء.

يتطلب الأمر طرف واحد فقط لكي يكون هناك غفران. ولكن يتطلب طرفين لكي تكون هناك مصالحة. لا نستطيع مساعدة الإنسان الذي لا يريد أن يساعد نفسه. الغفران عمل غير طبيعي. لا يريد الذي تم الإساءة إليه أن يدفع الثمن؛ والمسيء لا يريد أن يتوب. ولكن لا بد أن يفعلا هذين كلاهما لكي يتصالحا. يفشل الغفران إن لم يؤدي إلى مصالحة.

الغفران ليس النهاية (كما يعتبره مجتمعنا)، بل الغفران هو الوسيلة، والمصالحة هي النهاية. لا يحررنا الغفران من العقاب فحسب، بل أيضاً يسمح لنا بتجديد العلاقة المتدهورة.

مبادىء «الغفران»

قال شكسبير «أكون ... أو لا أكون، هذا هو السؤال»[1]. أما الكتاب المقدس فيقول: «أغفر أو لا أغفر – هذا هو الأمر». ينبغي أن أغفر. وينبغي أن يغفر لي. هذه هي المسائل الكبيرة في الحياة. الغفران هو الجسر الذي لا بد أن يسلكه الجميع. ماذا نفعل عندما نغفر؟ ماذا نفعل عندما ننال الغفران؟ قال بولس: «وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ» (أفسس ٤: ٣٢). يبدأ الغفران باللطف. كن لطيفاً أولاً! ثم مارس مبادىء الغفران. ما هي تلك المبادىء؟

المبدأ الأول: لا يُغْفَر لغير الغفور. اقرأ صلاة يسوع الواردة في متى ٦: ١٢-١٥؛ مرقس ١١: ٢٤-٢٦؛ لوقا ١١: ٤. (راجع أيضاً متى ١٨: ٣٥؛ لوقا ٦: ٣٧؛ ٢ كورنثوس ٢: ٧). لا تتعلم النظرية فقط، بل أبدأ بالتطبيق! ينبغي أن يكون هدفنا الأسمى هو أن نتعلم كيف نغفر. أغفر أنت أولاً!

المبدأ الثاني: ينبغي أن يغفر المساء إليه، حتى وإن كان ذلك من أجل سلامة العقل فقط! إن لم يغفر (تتمة من صفحة ١٨): الشخص قد يصبح قاسي الفؤاد وخسيس وحقود. وإن لم يغفر الشخص أيضاً قد يعيش في قيود. إذا انتظرْتَ حتى يتوب المذنب، قد تضيع حياتك في الانتظار. ولكن حالما تغفر في قلبك، لا تكون تلك الإساءة مشكلة كبيرة في ما بعد – سواء تاب المذنب أم لا.

المبدأ الثالث: لا يكون هناك غفران من غير توبة. ظل كرسي ومائدة الابن الضال باقيتان حتى عندما كان في «كورة بعيدة» (لوقا ١٥)، ولكن كان لا بد أن يتوب ويرجع لكي يستخدمهما. خرج الابن الضال من بيت ابيه لكي يخطيء؛ ولكي يغفر له كان لا بد أن يكف عن الخطيئة ويرجع إلى البيت (لوقا ١٥: ١١-٢٤). لا يمكنك أن تحصل على غفران بينما أنت في «كورة بعيدة» وتعيش في الخطيئة. كان الغفران موجود هناك – غفران الله غير المستحق ولكن المشروط. لم يجبر الأب ابنه الضال على العودة. لا يخلصنا الله حتى نسمح له بذلك.

لا يحتاج غير المذنبين إلى الغفران؛ بل يحتاجون إلى الدفاع عنهم وتبريرهم. ليس الخطاة غير مذنبين، وهم ليسوا ضحايا. يجب أن نقبل مسؤولية خطايانا. لا بد أن نعترف بالذنب: «لقد فعلتُ هذا». اقرأ المزمور ٥١. ثم نتوب (نتغير). قد يقول شخص ما: «ليس هذا مشكلة». الخطيئة والإثم والخيانة مشكلة! الخطاة منتهكون!

لا بد من معالجة الخطيئة. هل تذكر بطرس؟ انه كان مستعداً أن يغفر سبع مرات (متى ١٨: ٢١-٣٥). وضرب يسوع هذا سبعين مرة! يسوع نفسه استخدم العدد «سبع» في إنجيل لوقا ١٧: ٣ و٤. كان بطرس يستمع ولكنه لم يكن يفكر ولم يتعلم ولم يبدأ بالتطبيق. ليس هناك شيء أكبر أو أكثر مما يمكن غفرانه (متى ١٨: ٢١-٣٥). وفي الوقت نفسه ليس الغفران رخصة للخطيئة (غلاطيئة ٦: ٧).

المصالحة أكثر من الغفران. التقليل من الخلاص إلى غفران فقط هو بمثابة سليب الخلاص من كماله. التوبة ليست التحول عن الخطيئة فقط، بل تشمل أيضاً الرجوع إلى الله. كان يمكن مسامحة الابن الضال وجعله عبداً. ولكن الله يريد أبناء وليس عبيد (لوقا ١٥). لا يمكن للخطاة تحقيق المصالحة؛ ولكنهم قد يرفضونه عندما يقدمه الله لهم. يجب إعادة النظر في السلوك الشائع: «لستُ هنا لكي أدينك»! تشمل التوبة إدانة الخطيئة. سوف لا نشارك في الإدانة والتوبة

[1] وليم شكسبير في كتابه المسرحي بعنوان «هملت Hamlet».

والغفران حتى نرى الخطيئة كما يراها الله. لا يمكن أبداً أن يكون الوقت مبكر جداً للتوبة، ولكن قد يفوت الوقت عليها.

المبدأ الرابع: الغفران لا يضمن مستقبل بلا متاعب. تظل هناك عواقب للخطيئة المغفورة. مرور الزمان والنسيان ليسا غفرانا. لم يعد يذكر الله خطايانا (إرميا ٣١: ٣٤؛ عبرانيين ٨: ١٢؛ ١٠: ١٧)، ولكن ليس هذا «فقدان الذاكرة من الناحية الروحية». توجد للخطيئة عواقب. مات طفل الملك داود[٢]. نالت إسرائيل العقاب. وتم خراب أورشليم (في سنة ٧٠م.). وما زالت للخطاة كوابيس. كتب داود قائلاً: «... خَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِمًا» (المزمور ٥١: ٣).

الغفران عطية، ومع ذلك انه أغلى شيء على الأرض (رومية ٥: ١٠). عطايا مثل الغفران يجب قبولها بتواضع والتمتع بها بصورة كاملة. عندما نقبل الغفران حينئذ نحب كما يمكن أن نحب وكما ينبغي (لوقا ٧: ٣٦-٥٠). الغفران ليس نسيان؛ بل هو تجديد مرة أخرى.

[٢] راجع سفر صموئيل الثاني ١١: ١ إلى ١٢: ٢٣.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩